دول القرن الأفريقي: دورها وتأثيرها في القضية الصومالية (الجزء الرابع)

التقرير الأسبوعي

الرقم: 34

إعداد: الكاتب والباحث / عبد الله الفاتح

تاريخ الإصدار: الأربعاء 6 يونيو 2018

نبذة عن المؤسسة

الصومال الجديد مؤسسة أهلية غير ربحية تعمل في مجال الإعلام والبحوث والدراسات والتنمية البشرية، وتأسست المؤسسة على يد مثقفين وكوادر مهنيين صوماليين في العاشر من شهر مايو عام 2015، ويقع مقرها الرئيسي في العاصمة الصومالية مقديشو.

Website: www.alsomalaljadid.com / www.alsomal.so / www.alsomal.net Email:alsomalaljadid@gmail.com

لقد تناول هذا التقرير في الحلقات السابقة الاستعمار الأوروبي وتقسيمه الصومال والتنافس الدولي على المنطقة بسبب موقعها الاستراتيجي، كما سلطت الأضواء على أهمية الصومال بالنسبة لدول الجوار الإفريقي بشكل عام، ولجيبوتي على وجه الخصوص، بحكم ارتباطها بالصومال عرقياً وثقافياً ودينياً، وكشف عن اهتمامها الكبير بتسوية وحل الأزمة الصومالية النابع من هذا الارتباط، وفي هذا الجزء يستعرض التقرير السمات العامة للسياسة الإثيوبية تجاه الصومال، على ضوء تفاعل دورها حيال الأزمة الصومالية.

- **مدخل: جذور الصراع الإثيوبي الصومالي:**

من الصعوبة بمكان فهم طبيعة اهتمام إثيوبيا بالصومال، دون العودة إلى التاريخ لسبر غور دورها التاريخي ومشاركتها المباشرة في مخططات الاستعمار لتقسيم منطقة القرن الإفريقي وإعادة تشكيل أوضاعها وحدودها السياسية قبل قرنين من الزمان.

وكانت هذه المنطقة محل تنافس بين الدول الاستعمارية الكبرى، وهذه القوى قامت برسم حدود دول المنطقة وفق مصالحها الاستراتيجية مثيرة للتناقضات العرقية والجهوية والنزاعات داخل كل دولة ومع جيرانها[1].

وقد استفادت إثيوبيا من تقسيم الاستعمار للمنطقة، وقامت بحملة توسعية على حساب جارتها الصومال، واستمرت محاولاتها لتقسيم الصومال واخضاعها لسلطانها بكل الوسائل المادية والمعنوية.

ولهذا فإن طبيعة الصراع التاريخي بين الصومال وإثيوبيا، ليس نزاعاً على الحدود السياسية، ولا مجرد قضية تتعلق بأقلية عرقية صومالية، بقدر ما هو صراع ضد إثيوبيا الإمبريالية التي

[1] عبد الوهاب الصاوي، المصدر السابق.

استولت على أجزاء واسعة من الأراضي الصومالية نتيجة لمشاركتها في تقسيم الاستعمار للمنطقة[2].

وهذا يعد إحدى العوامل التي أسهمت في تأجيج الصراع بالمنطقة، كما أن تناقض المصالح وتراكم الخلافات بين البلدين، لعبت دوراً محورياً في نشوب سلسلة من الصراعات والحروب بين الصومال وإثيوبيا وذلك منذ العقد السادس من القرن الماضي[3].

وظل حلم توحيد الأراضي الصومالية حاضراً في الوعي الجمعي الصومالي، وهو الأمر الذي أفرز حرباً ضروساً بين إثيوبيا ودولة الصومال الوليدة، عام 1964م، نجحت فيه الصومال باستعادة أجزاء من أراضيها التي اقتطعتها بريطانيا ومنحته لإثيوبيا، وقد تطور النزاع إلى حرب شاملة دارت رحاها بين عامي 1977م . 1978م، بسبب مطالبة الصومال بإرجاع إقليم الصومال الغربي (الأوغادين).

والغريب وغير المسبوق في هذه الحرب، التي دارت أحداثها أثناء ذروة الاستقطاب التي تميزت خارطة السياسة الدولية خلال فترة الحرب الباردة، إلا أن كلاً من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية نحيا خلافاتهما السياسية والأيدولوجية جانباً ليقفا معاً وراء النظام الإثيوبي ضد الصومال.

وإذا كانت الولايات المتحدة وقفت خلال تلك الفترة إلى جانب إثيوبيا، بعدم دعمها الصومال، فإنها باركت تحالف الكيان الصهيوني ومنظومة الدول الشيوعية الدئرة في فلك الاتحاد السوفييتي في دعمها السياسي والعسكري لأديس أبابا.

---

[2] توفيق المديني، المصدر السابق.

[3] عبد الله الفاتح، تاريخ الاستعمار القديم والحديث في الصومال.

والملاحظ أن علامات الدهشة لا تتوقف عند هذا الحد من التحالف الذي جمع بين الأضداد، حيث انضم لهذا التحالف المعادي للصومال بعض الدول العربية مثل اليمن الجنوبية وهم أقرب الأشقاء العرب للصومال، بالإضافة إلى حركات عربية أخرى من بينها الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وأدى هذا التحالف غير المسبوق إلى هزيمة قاسية للصومال[4]. ومنذ ذلك لم ينكبح جماح العدواة الإثيوبية للصومال، حيث امتدت أياديها بالسلاح والتدريب لحركات التمرد والجبهات المسلحة، بغرض تأجيج الصرعات داخل الصومال وتمزيق دولتها.

- **إثيوبيا: واستراتيجية ملء الفراغ:**

مع استيلاء الجبهة الديمقراطية الثورية للشعوب الإثيوبية (EPRDF)، على مقاليد السلطة في إثيوبيا، بعد دحرها قوات نظام الرئيس الإثيوبي منغستو هيلا مريام عام 1991م، دخل الصراع الإثيوبي الصومالي مرحلة تاريخية مفصلية، تميزت بعدد من الأحداث المهمة التي تركت آثارها البالغة على مجمل العلاقات الإثيوبية الصومالية.

ومنها التحولات الكبرى التي شهدت خارطة السياسة الصومالية مع بداية حقبة التسعينات من القرن العشرين، المتمثلة في سقوط نظام سياد بري في مقديشو عام 1991م، وما تلا ذلك من اضطرابات سياسية وحرب أهلية خطيرة أدت إلى الانهيار الكامل لجميع مؤسسات الدولة الصومالية، فيما لم تتمكن فصائل المعارضة الصومالية من ملء هذا الفراغ الذي خلفه اسقاط الحكومة المركزية، بسبب كونها قائمة على أسس قبلية وجهوية، فضلاً عن افتقارها

[4] توفيق المديني، المصدر السابق.

لأي مشروع سياسي وطني قادر على إخراج البلاد من أزمتها الوطنية، مما جعلها هي نفسها جزءاً من المشكلة وليس الحل[5].

لقد كان لهذه التطورات والتداعيات التي سادت تلك المرحلة تأثيراتها العميقة في تغير خارطة التوزنات بمنطقة القرن الإفريقي، ووضح ذلك بجلاء في تصاعد دور إثيوبيا وتنامي نفوذها في الصومال ودول الجوار الأخرى، حيث بدأت كقوة إقليمية جديدة تتحسس خطها نحو تأكيد أحقيتها في قيادة القرن الإفريقي.

ومع أن الاستراتيجية الإثيوبية تجاه الصومال، ظلت محل إجماع جميع الحكام الإثيوبيين، إلا أن القيادة الإثيوبية الجديدة، نجحت أيما نجاح في تفجير الجسم الصومالي من الداخل لتجعل منه أشلاء متناثرة.

وأوضح المستشار الأسبق لرئيس الوزراء الإثيوبي للشؤون السياسية والأمنية السيد/ أباي سهاي "أن السياسة الخارجية كانت التحدي الأكبر التي واجهت حكومة الجبهة الديمقراطية الثورية (EPRDF) بعد وصولها للسلطة، إلا أننا استطعنا أن نحقق العديد من الانجازات وعلى كافة المستويات والأصعدة، وذلك بفضل قيادات الجبهة أمثال رئيس الوزراء الراحل مليس زيناوي، التي كان لها دور كبير في تحقيق هذه الأهداف.

وقد جاء ذلك خلال تعقيبه على ورقة بعنوان "**نضال شعب تغراي من البداية حتى المؤتمر التأسيسي الأول**" قدمها وزير الخارجية الإثيوبي الأسبق السيد/ سيوم مسفن، ضمن فعاليات

---

[5] عبد الواحد شافعي، تجربة المحاكم الإسلامية في الصومال .. تآلاف الخصوم، مركز المسبار للدراسات والبحوث، أبريل 2018م.

الاحتفال بالذكرى الأربعين لتأسيس جبهة تحرير تغراي (TPLF) بمدينة مقلي عاصمة إقليم تغراي[6].

- **تفاعل إثيوبيا ودورها حيال الأزمة الصومالية:**

كانت القيادة الإثيوبية الجديدة قد أعلنت فور الإطاحة بنظام سياد بري في مقديشو عام 1991م، مبادرة سياسية لتسوية النزاع داخل الصومال، وكانت هذه المبادرة واحدة من أولى المبادرات الإقليمية لاحتواء هذه الأزمة، وكانت تهدف إلى عقد مؤتمر موسع تشارك فيه كل الفصائل الصومالية المسلحة وكافة الأطراف المعنية الأخرى.

وفي أبريل 1992م، أنشئت اللجنة الدائمة للقرن الإفريقي بواسطة الدول المجاورة للصومال، وانتخبت إثيوبيا رئيساً لهذه اللجنة، ونظمت اللجنة أول اجتماع للفصائل الصومالية بمدينة بهر دار بإثيوبيا في الفترة ما بين مايو ويونيو 1992م، حيث ناقش المشاركون مختلف أبعاد النزاع الداخلي، ووافقت الفصائل المشاركة على توزيع المساعدات الإنسانية وفتح الموانئ والمطارات، كما وافقت على أن تواصل اللجنة الدائمة مشاوراتها مع كافة الفصائل الصومالية لإنهاء الصراع، إلا أن هذه الجهود لم تتكلل بنجاح.

وقد تباينت القراءات والتحليلات حول مضامين المبادرة ودوافعها الحقيقية، كما اختلفت الآراء حول الأسباب الموضوعية التي أدت في نهاية المطاف إلى فشلها.

ويرى بعض المحللين أن ذلك يرجع للظروف الإقليمية والدولية السائدة خلال تلك الفترة، حيث لم تكن الدول الكبرى الفاعلة في المشهد الإقليمي، مستعداً لحل الأزمة الصومالية، ولهذا لم تحظ المبادرة الإثيوبية بالدعم والمساندة الكافية من المجتمع الدولي، بينما يشير

---

[6] أنور إبراهيم، إثيوبيا ودول الجوار .. نموذج العلاقات مع إريتريا والصومال، سياسة بوست الموقع الإلكتروني، 17 نوفمبر 2016م.

الآخرون إلى أن تدخلها بشكل منفرد في الأزمة الصومالية لتحقيق أهداف خاصة دون مرعاة لاعتبارات تسوية واحتواء الأزمة، مما أسهم في تأجيج النزاع داخل الصومال وتمزيق نسيجها الاجتماعي والسياسي.

رغم فشل مبادرتها إلا أن منظمة الإيغاد فوضت رئيس الوزراء الإثيوبي الراحل مليس زيناوي، ليقوم بدور المنسق لعملية السلام الصومالية بالتشاور مع الدول المجاورة، وقد أكد مؤتمر القاهرة عام 1993م، هذا التفويض، ولهذا فإن إثيوبيا اضلعت بدور رئيسي في الأزمة الصومالية، وقد ظلت تتابع كافة تطورات المسألة الصومالية.

وتجذر الإشارة إلى أن كافة التحركات التي قامت بها إثيوبيا على صعيد عملية تسوية الأزمة الصومالية، جاءت استناداً إلى هذا التفويض الممنوح لها من قبل منظمة الإيغاد ومنظمة الوحدة الإفريقية[7].

[7] أحمد إبراهيم محمود، الصومال بين انهيار الدولة والمصالحة الوطنية، مركز الأهرام، القاهرة . 2005م.